الحركة العمالية العربية والنقابات العمالية العربية في فلسطين

جاءت بداية نشوء الحركة النقابية العمالية في أوائل العشرينات من هذا القرن في ظروف نشوء طور جديد من العلاقات الرأسمالية في الانتاج الصناعي العربي ، وفي بداية مجابهة وطنية مع سياسة الانتداب والاستيطان الصهيوني ، اخذت مداها في مراحل لاحقة .

ان الاوضاع العامة التي استجدت في فلسطين ما بعد الانتداب قد خلقت مناخا سياسيا ثوريا في صفوف العمال وبلورت أشكالا من الوعي التنظيمي والسياسي لدى قطاعات هامة من العمال دفعها الى تأسيس منظماتها النقابية الخاصة ، كما دفع العمال الى المساهمة الفعالة في الانتفاضات الشعبية في البلاد (أحداث ١٩٢٩ ، انتفاضة القسام ١٩٣٥ ، تظاهرة نيسان ١٩٣٧ ، حرب ١٩٤٧ — ١٩٤٨) كما تجلت في وثائق ومؤتمرات المنظمات العمالية العديد من المطالب والطموحات السياسية والنقابية التقدمية . وعلى الرغم من أن الحركة العمالية في فلسطين والنقابات العمالية لم تدرس بعد بصورة جدية حيث ما يزال الغموض يكتنف الكثير من الحقائق حول التجربة التاريخية للنقابات العربية الفلسطينية ودورها النضالي ومدى نفوذها في صفوف الطبقة العاملة ، مع ذلك فان ما هو بين يدينا يعطي فكرة عامة حول المضمون السياسي للنضال النقابي العمالي ، ويظهر مواقف القوى السياسية النافذة في اوساط العمال آنذاك .

ففي عام ١٩٢٣ تشكلت لجنة عمالية للسكك الحديدية ، لتقديم المساعدات الى العمال المرضى والمحتاجين ، وكان طابع النشاط العمالي تعاونيا اجتماعيا تضامنيا . وقبل انشاء نقابة السكك الحديدية عام ١٩٢٤ كنقابة عربية صرفة ، كان عمال المواصلات العرب واليهود في نقابة واحدة ، وكان قادة النقابة غالبا من اليهود(٣٣) . ومنذ عام ١٩٢٥ ، وهو تاريخ نشوء جمعية العمال العربية الفلسطينية ، من مجموعة من النقابات العمالية على رأسها عمال السكك الحديدية (البلديات ، الاشغال العامة ، الطباعة ، البناء ، المخابز ، شركات الدخان ، الكبريت ، السواقين ، البناء)(٣٤)، وكان على رأس الجمعية عدد من المؤسسين منهم سعيد قواس ، حيمور ، عيد سليم ، قليلات ، الياس الذوقي ، رضوان الحلو ، مصطفى ابو زيد ، عيسى الفريج(٣٥) . ورغم بطء مسيرة الجمعية ، التي افتقدت الى خبرة نقابية وكفاءة تنظيمية مناسبة ، فقد لعبت دورا سياسيا هاما في مقاومة الصهيونية والاستعمار (سياسة الانتداب) ، وحاولت اصدار جريدة باسم العمال العرب (تحت اسم جريدة العامل العربي) غير انها لم تستمر(٣٦) .

ومن مراجعة اهداف الجمعية نجد انها كانت على النحو التالي : ايجاد مركز عمالي لعموم فلسطين ، وتنظيم العمال من اجل تقديم تسهيلات ومساعدات علمية واجتماعية واقتصاديةوأدبية، والدفاع عن مصالح العمال وحمايتهم ازاء أصحاب رؤوس الاموال والمصالح ، وتحديد ساعات العمل وتعديل الاجور والمكافأة في حالة العطل والعجز والاصابة ومنح الاجازات والعلاوات والترقيات وتسهيل مسائل السكن وتعليم ابناء العمال ووقايتهم صحيا ، كل ذلك ضمن القانون والنظام(٣٧) . وفي مطلع عام ١٩٣٠ عقد المؤتمر الاول للجمعية في مدينة حيفا ، حيث حضره ٦١٠ اعضاء يمثلون ٣٠٢٠ عاملا من جميع مناطق فلسطين(٣٨)، وتميز المؤتمر بطموحه ، فسعى لانشاء مدرسة لتعليم العمال الاميين ، وحاول بناء قرى نموذجية ، وعملت الجمعية على زيادة الاجور وتحديد ساعات العمل في عدد من المؤسسات والقطاعات (وخاصة قطاع السكك الحديدية)(٣٩) .

ويبدو ان قيادة الحركة العمالية في فلسطين كانت متأثرة بالارث النقابي الاصلاحي المنتشر في النقابات الاوروبية وخاصة النقابات البريطانية ، وكان النقابيون غالبا متنازعي الولاء السياسي ، وبعضهم كان متناقضا مع القيادة الوطنية آنذاك (الحاج امين الحسيني) وكان بعضهم متصلا بالحزب الشيوعي الفلسطيني وآخرون لم يكن لهم ولاء سياسي محدد . غير انه من المؤكد ان جمعية العمال العربية الفلسطينية ، لم تكن بعد مؤتمرها الاول (بفعل اعتبارات موضوعية متصلة بواقع النضال الوطني والاحزاب السياسية